الفلسفة ثانية باك

مفهوم السعادة (المحور الثالث : السعادة والواجب)

الأستاذ: حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : إبكتيت
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : إيمانويل كانط
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- تركيب
V- خلاصة تركيبية للمفهوم

I- الإشكالية

يطمح الإنسان إلى خلق توازن لبلوغ السعادة باعتبارها الغاية القصوى للفعل الإنساني المتجه نحو تجسيد قيم أخلاقية فردية وجماعية، وتحديد الواجبات التي على كل فرد القيام بها سواء نحو ذاته أم تجاه الغير.

وإذا كان الأمر كذلك فإن السعادة تبنى داخل علاقات إنسانية يتشابك فيها واجب إسعاد الذات بواجب إسعاد الغير، مما يحفزنا على طرح التساؤلات التالية:

- ما هي علاقة السعادة بالواجب، هل هي علاقة تكامل أو علاقة إعاقة ؟
- بمعنى آخر، هل يكمن أساس السعادة في فعل ما نريد، أم في الانصياع للواجب والقانون، طبيعيا كان أو أخلاقيا ؟
- وإذا كانت هناك علاقة بين السعادة والواجب فهل السعادة واجب نحو الذات أم نحو الغير، أم هما معا ؟
- وفي الختام كيف يمكن بلوغ السعادة في ظل تمفصلاتها مع مفاهيم الواجب والغير والإرادة ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : إبكتيت

1-2/ النص الفلسفي

أخلاق السعادة

إبكتيت

أزهار الليل . لوحة للفنان بول كليه Paul Klee 1918

«من بين الأشياء الموجودة في العالم ما يتوقف علينا، والباقي لا يتوقف علينا. الأشياء التي تتوقف علينا هي آراؤنا، وحركاتنا، ورغباتنا، وميولاتنا، وتصورنا ؛ أو بعبارة أخرى كل حركاتنا. أما الأشياء التي لا تتوقف علينا فهي الجسم والممتلكات والخيرات، والسمعة، ومظاهر التشريف والتكريم، أو بعبارة موجزة كل الأشياء التي لا تنتمي إلى دائرة أفعالنا.

ـ الأشياء التي تتوقف علينا حرة بطبيعتها، إذ لا أحد يستطيع أن يوقفها أو أن يعوقها ؛ أما الأشياء التي لا تتوقف علينا فهي ضعيفة، تابعة وخاضعة لألف عائق ولألف معترض، كما أنها غريبة عنّا كليًا.

ـ تذكّر إذن أنك إذا ما عاملت الأشياء التابعة والمملوكة من طرف الآخرين على أنها أشياء حرة، وإذا ما عاملت الأشياء التي تنتمي إلى الآخرين على أنها أشياؤك، فإنك ستصطدم بعوائق في كل مكان، وستصاب بالعناء، وباضطراب، وستشكو الآلهة والناس. أما إذا عاملت ما تملكه أنت على أنه لك، وإذا ما عاملت الأشياء الغريبة عنك على أنها في ملك الآخرين، فإنه لا أحد يمكن أن يرغمك على أن تفعل ما تريد، لن تشكو الناس، ولن تتهم أحدًا، ولن تفعل أي شيء ـ مهما كان صغيرًا ـ مرغمًا أو مكرهًا : لا أحد سيسبب لك أذى، ولن يجلب لك الآخر مضايقة، ولن يصيبك أي مكروه...

ـ إن ما يجلب للناس اضطرابًا ليست هي الأشياء في حد ذاتها، بل الآراء التي لديهم عنها. فالموت مثلاً ليس شرًا وألمًا في ذاته ولو كان كذلك لبدا لسقراط أنه كذلك، بل الشر يكمن في الرأي الذي لدينا عن الموت بأنه شر وألم فذاك هو الشر. إذن فعندما نكون فلقين ومضطربين أو حزانى فإن علينا ألا نتهم أحدًا آخر غير أنفسنا، أي آراءنا. فأن يتهم المرء الآخرين بأنهم هم سبب آلامه وتعاساته فهذا فعل الجهّال. ألا يتهم المرء إلا ذاته فهذا هو الأمر الجدير بإنسان متحضر، أما أن يكف الإنسان عن اتهام نفسه وعن اتهام الآخرين فهذا هو الفعل الجدير بإنسان أكثر تحضرًا ....

ـ لا تطلب أبدًا أن تحدث الأشياء كما ترغب أنت، بل ارغب في حدوث الأشياء كما تحدث هي فعلاً، وبذلك ستكون سعيدًا دومًا.»

Epictète, *Manuel*, trad. fr. A. Dacier, Collection : *Les intégrales de la philosophie*, Paris, Nathan 1990, pp. 30-40. (ترجمة فريق التأليف)

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه إبكتيت.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن إبكتيت يجيب عنه.

2- أبني أطروحة النص من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الاثبات، النقد..).
- استخلاص جواب إبكتيت عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير..؟

3- أحكم على أطروحة إبكتيت وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة مع إبراز ما إذا كانت مقنعة من حيث تطابقها مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم.

3-2/ التصور الفلسفي

يميز إبكتيت في هذا النص تمييزا أساسيا بين الأشياء التي تتعلق بنا والتي لنا عليها سلطة، والأشياء التي لا تتعلق بنا والتي تنفلت من أيدينا، فالأشياء التي تتعلق بنا هي أحكامنا وآراؤنا التي لنا عن الأشياء الخارجية، وكلما تمكنا من التحكم فيها امتلكنا الحياة السعيدة، فالسعادة لا تتمثل في فعل ما نريد، وإنما في الخضوع للقانون الطبيعي السامي الذي يكون مبدأ كل ما يحدث.

III- الموقف الفلسفي 2 : إيمانويل كانط

4-1/ النص الفلسفي

الالتزام بالقانون الأخلاقي هو أساس السعادة

إ. كانط

لحظة سعادة بين الأصدقاء. لوحة للفنان إيميل دورستلينغ
Emile Doerstling .1900

«هناك قانون للفعل، وأن المبادئ الذاتية للأفعال، أي المسلمات، ينبغي دائمًا بمقتضى هذا القانون أن تؤخذ بحيث تكون صالحة كذلك من الناحية الموضوعية، أي بحيث تصلح لأن تكون مبادئ كلية شاملة، وبالتالي لأن تكون تشريعًا شاملاً ينبع من أنفسنا. ولكن ما الذي يحتم عليَّ أن أخضعَ لهذا المبدأ الأخلاقي، بوصفي كائنًا عاقلاً بوجه عام، وما الذي يحتمُ تبعًا لذلك على جميع الكائنات الأخرى المزودة بالعقل أن تخضع له؟ أريد أن أسلم بأنه ما من منفعة تدفعني إلى هذا، إذ لو كان الأمر كذلك لما أمكن قيام الأمر الأخلاقي المطلق، ولكن كيف يجب عليَّ مع ذلك أن أجدَ فيه بالضرُورةِ منفعة وأن أنظر كيف يحدث هذا، ذلك لأن عبارة «يجب عليَّ» هذه هي في حقيقة أمرها هي عبارة «إنني أريدُ» التي تصلح لكل كائن عاقل، بشرط أن يكون العقل عنده عمليًا دون ما عقبات تمنعه من ذلك...

يبدو إذن كأننا اقتصرنا على افتراض وجود القانون الأخلاقي بوجه خاص، أي مبدأ استقلال الإرادة نفسه في فكرة الحرية دون أن نتمكن من إثبات واقعيته وضرورته الموضوعية في ذاته، ولا نزاع في أننا كنَّا نكتسب شيئًا له قيمته الحقة لو أننا توصلنا على الأقل إلى تحديد المبدأ الأصيل تحديدًا أدق مما فعلناه حتى الآن، ولكننا مع ذلك ما كنَّا لنتقدم كثيرًا فيما يتصل بصلاحيته أو بالضرورة العملية التي تفرض على الإنسان أن يخضع له. فلو أن أحدًا سألنا لماذا ينبغي إذن لشمول مسلمتنا، حين ترتفع إلى مستوى القانون، أن تكون الشرط الذي يقيد من أفعالنا، وعلى أي أساس نضع القيمة التي نخلعها على مثل هذا الضرب من الأفعال، تلك القيمة التي تبلغ من الرفعة مبلغًا يجعل من المتعذر في أي مكان وجود منفعة تعلو عليها، وكيف يأتي للإنسان إيمانه بأنه إنما يشعر بقيمته الشخصية عن هذا الطريق وحده، وبأن قيمة كل حالة ممتعة أو مؤلمة لا تقاس شيئًا بجانبها، أقول لو أن أحدًا وجه إلينا هذه الأسئلة لما وجدنا لها عندنا جوابًا شافيًا.

حقًا إننا نجد أن في استطاعتنا أن نلتمس في خاصية شخصية لا تنطوي على أية منفعة لحالتنا، حين تمكننا تلك الخاصية من المشاركة في هذه الحالة الأخيرة إذا تيسر للعقل أن يجعلها من نصيبنا، أعني أن مجرد كون الإنسان جديرًا بالسعادة يمكن أن يكون شيئًا نافعًا في ذاته حتى لو لم يكن هناك دافع إلى المشاركة في هذه السعادة.»

إمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، مراجعة عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص ص. 109-111.

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه كانط.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن كانط يجيب عنه.

2- أبني أطروحة النص من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد..).
- استخلاص جواب كانط عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير..؟

3-أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة الغزالي من خلال :

- المقارنة مع أطروحة إبكتيت.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

4-3/ التصور الفلسفي

يعرض هذا النص الأخلاق الكنطية التي تتوخى الشمولية والإطلاقية، فالسعادة لا يمكنها أن تكون سعادة مستقلة عن القانون الأخلاقي وعن مبدأ الواجب، وبالفعل لا تتمثل السعادة، حسب كانط، في رفض هذا القانون وهذا الواجب، وإنما تتمثل في الخضوع لهما وامتثال لأوامرهما.

IV- تركيب

السعادة قيمة أخلاقية توجه العلاقات الإنسانية، كما أنها قيمة تبنى في إطار واجب نحو الذات والغير، لذلك على الإنسان أن يطلبها لنفسه بدون أنانية، وأن يطلبها لغيره لكن بدون تضحية مدمرة.

V- خلاصة تركيبية للمفهوم

يشكل السعي نحو السعادة سبب حركة كل الناس، بما فيهم أولئك الذين يقبلون على الانتحار، ثم إن مفهوم السعادة تتداخل فيه دلالات متباينة وتتقاطع فيه حقول مختلفة بيولوجية وسيكولوجية وميتافيزيقية واجتماعية وسياسية، ويتاخم مجموعة من المفاهيم الفلسفية ويتقاطع معها مثل الأخلاق والواجب والفضيلة والحرية...

ولعل هذا ما زاد من غنى المفهوم ووسع من دلالاته، ذلك ما حاولنا الوقوف عليه من خلال مدارسة مفهوم السعادة بحثا في طبيعتها، مرورا بكيفية البحث عنها وانتهاء بإبراز علاقتها بالواجب.